بنعومته، ولسعة مذاقة، ونعومة هرسه، وقوامه اللين، ويبدو أنه من وجبات الذاكرة، إذ كان يقول دائمًا إن أفضل الأطعمة عند المرء ما ارتبط بالزمن الأول، لذلك يمكن معرفة الوجبة المقربة إلى هذا أو ذاك فى أول مدارج العمر، من تفضيل هذا الصنف أو ذاك.

عنده هو.. الطحال.

مازال يذكر بالحنين الدائم نشأته فى حارة بيرجوان، كان فى طريقه اليومى، عند الظهيرة يمر بالصاغة، ما بين سوق الذهب والفضة، والنحاسين، يقف رجل نحيل، طويل، يرتدى جلبابًا أبيض، شاهق البياض، يضع فوقه «مريلة» من مشمع أبيض، يربطها بحزام نحيل حول خصره، أمامه منضدة ذات ثلاثة قوائم، مرتفعة، يمكن لمها وفردها، فوقها وعاء أقرب إلى شكل القبة، من زجاج، ذى حليات من نحاس، يثق أن الوعاء منحدر من عصور قديمة، فلم ير مثله، ولم يسمع، فى مواجهة الرجل باب صغير، يمكنه إدخال يديه بحذق وحرص منه، تقطيع الطحال الممدد فوق خشبة صغيرة مستديرة من أشجار الجوز، مغطى بشاش نحيل رهيف الرقة والنظافة، مازال الدكتور يذكر حركة يديه إذ تقطعان الأجزاء النفيسة من الطحال.

تقلبت ظروف الحياة بالدكتور، تزوج أكثر من مرة، ربما فى كل بلد حل به، بعد بدء هجرة المصريين إلى الخارج إستدعاه كثيرون للإسهام فى تأسيس مطاعم، أبدى مشورته فى باريس، ولندن، وفيينا، ونيويورك، وزيوريخ وأثينا والبحرين ودبى وجدة وبيروت وأخيراً فى إستانبول، لم يكن يشير بالقوائم والتحاويج الخاصة بكل طبق والمقادير، بل بنوعية النشاط أيضًا، كأن ينصح مثلاً.